

متن

أصول الفقه الشافعي

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

متن

أصول التفسير في التفسير

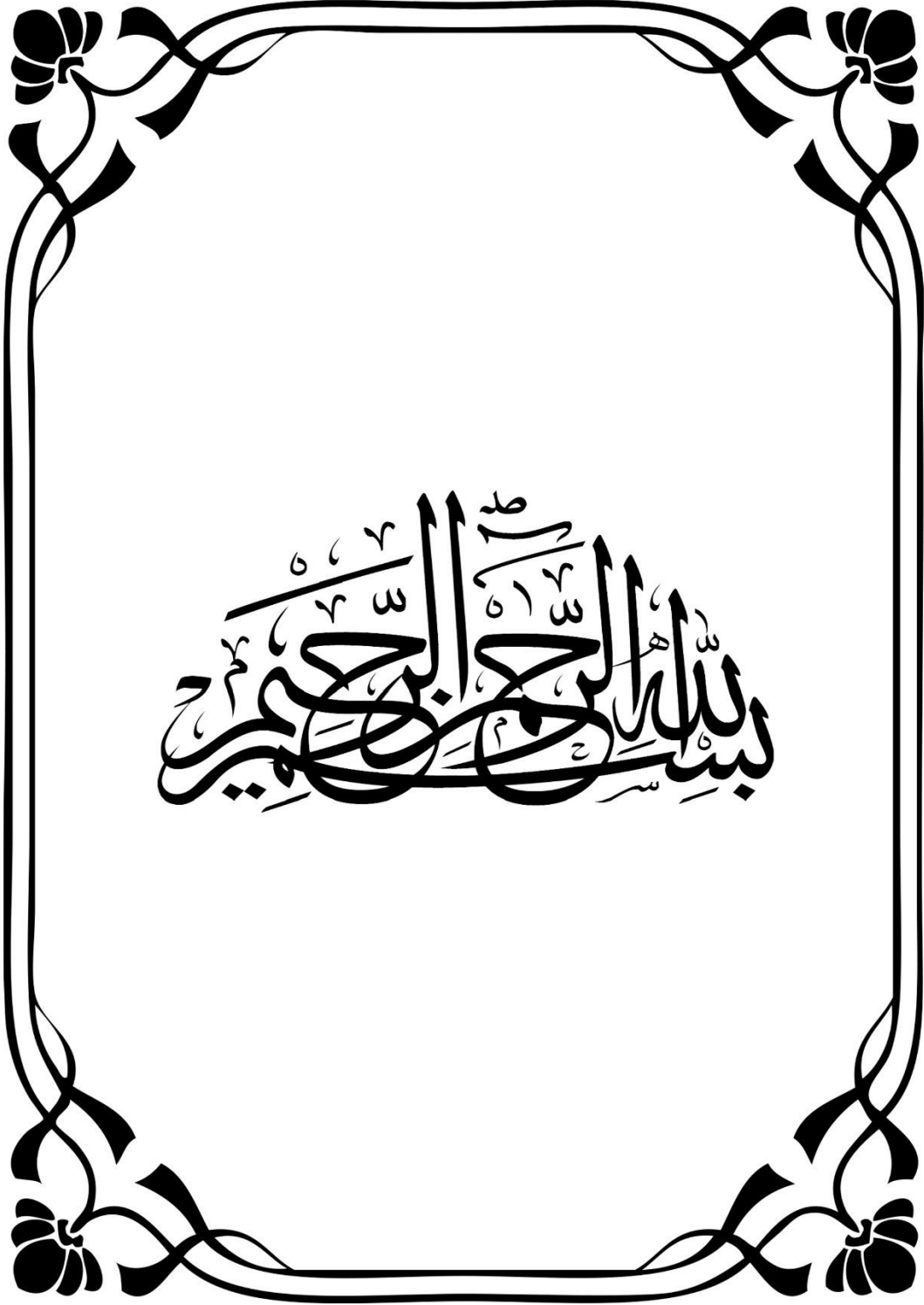
لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

معهد الميراث النبوي

1441 هجري



مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما ،

أما بعد :

فإن من المهم في كل فن أن يتعلم المرء من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخرجه على تلك الأصول ليكون علمه مبنيًا على أسس قوية ودعائم راسخة ، وقد قيل : من حرم الأصول حرم الوصول .

ومن أجل فنون العلم بل هو أجلها ولأشرفها علم التفسير الذي هو تبين معاني كلام الله ﷺ ، وقد وضع أهل العلم له أصولاً ، كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً ، ولعلم الفقه أصولاً .

وقد كنت كتبت من هذا العلم ما تيسر لطلاب المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فطلب مني بعض الناس أن أفرد لها رسالة ليكون ذلك أيسر وأجمع فأجبت به إلى ذلك .

وأسأل الله تعالى أن ينفع بها .

ويتلخص ذلك فيما يأتي :

القرآن الكريم :

- 1 - متى نزل القرآن على النبي ﷺ ، ومن نزل به عليه من الملائكة .
- 2 - أول ما نزل من القرآن .
- 3 - نزول القرآن على نوعين : سببي وابتدائي .
- 4 - القرآن مكي ومدني ، وبيان الحكمة من نزوله مفرقا وترتيب القرآن .
- 5 - جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهما - .

التفسير :

- 1 - معنى التفسير لغة واصطلاحاً ، وبيان حكمه ، والغرض منه .
- 2 - الواجب على المسلم في تفسير القرآن .
- 3 - المرجع في التفسير إلى ما يأتي :
- (أ) كلام الله تعالى بحيث يفسر القرآن بالقرآن .
- (ب) سنة الرسول ﷺ ؛ لأنه مبلغ عن الله تعالى وهو أعلم الناس بمراد الله تعالى في كتاب الله .
- (ج) كلام الصحابة رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم .
- (د) كلام كبار التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم .

(هـ) ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق ، فإن اختلف الشرعي واللغوي أخذ بالمعنى الشرعي إلا بدليل يرجح اللغوي .

4 - أنواع الاختلاف الولد في التفسير المأثور .

5 - ترجمة القرآن : تعريفها ، أنواعها ، حكم كل نوع .

خمس تراجم مختصرة للمشهورين بالتفسير : ثلاث للصحابة ، واثنان للتابعين .

أقسام القرآن من حيث الأحكام والتشابه :

موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه .

التشابه : حقيقي ونسبي .

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم و متشابه .

موهم التعرض من القرآن والجواب عنه وأمثلة من ذلك .

القسم : تعريفه ، أدواته ، فائدته .

القصص : تعريفها ، الغرض منها ، الحكمة من تكرارها واختلافها في الطول والقصر والأسلوب .

الإسرائيليات التي أقحمت في التفسير وموقف العلماء منها .

الضمير : تعريفه ، مرجعه ، الإظهار في موضع الإضمار وفائدته ، الالتفات وفائدته ، ضمير الفصل وفائدته .

القرآن الكريم

القرآن الكريم في اللغة : مصدر قرأ بمعنى تلا ، أو بمعنى جمع .
 تقول : قرأ قرءاً قرآنًا ، كما تقول : غفر غفرًا وغفرانًا ، فعلى المعنى الأول (تلا)
 يكون مصدرًا بمعنى اسم المفعول أي بمعنى متلو .
 وعلى المعنى الثاني (جَمَعَ) يكون مصدرًا بمعنى اسم الفاعل أي بمعنى جامع ؛
 لجمعه الأخبار والأحكام .

والقرآن في المشرع : كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ
 المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ [الإنسان : 23] ، وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : 2] .

وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل
 حيث تكفل ﷻ بحفظه ، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] ،
 ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه أو
 يزيد أو ينقص أو يبدل إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره .

وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة تدل على عظمته ووكته وتأثيره وشموله ،
 وأنه حاكم على ما قبله من الكتب .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : 87] ، ﴿ قُلْ وَالْقُرْءَانَ الْمَجِيدِ ﴾ [ق : 1] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29] ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : 155] ، ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الواقعة : 77] ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : 9] ، وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : 21] ، ﴿ وَإِذَا مَا أَنزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [١٢٤] وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : 124 - 125] ، ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : 52] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : 89] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : 48] .

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد ﷺ إلى الناس كافة ، قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : 1] ، ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [الفرقان : 1] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم : 1 - 2] .

وسنة النبي ﷺ مصدر تشريع أيضًا كما قرره القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ مِّن يُّطِيعِ
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝۸۰ ﴾ [النساء : 80] ،
وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝۳۶ ﴾ [الأحزاب : 36] ، وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ۝ [الحشر : 7] ، قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ [آل عمران : 31] .

نزول القرآن

نزل القرآن أول ما نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر في رمضان ، قال الله تعالى
: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝۱ ﴾ [القدر : 1] ، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ۝۲ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝۳ ﴾ [الدخان : 3 - 4] ، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ
فِيهِ الْفُرْقَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : 185] .

وكان عُمر النبي ﷺ أول ما نزل عليه أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم ،
وقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم
، وهذه السن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك .

والذي نزل بالقرآن من الله تعالى إلى النبي ﷺ جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام
، قال الله تعالى عن القرآن : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝۱۹۱ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝۱۹۲ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝۱۹۳ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝۱۹۴ بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝۱۹۵ ﴾ [الشعراء : 191 - 195] .

وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى ، والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير : 19 - 21] ، وقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ﴾ [النجم : 5 - 7] ، وقال : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل : 102] .

وقد بين الله تعالى لنا أوصاف جبريل الذي نزل بالقرآن من عنده وتدل على عظم القرآن وعنايته تعالى به فإنه لا يرسل من كان عظيماً إلا بالأمور العظيمة .

أول ما نزل من القرآن

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ، وهي قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق : 1 - 5] .

ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر ، وهي قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر : 1 - 5] . ففي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت : " حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك ،

فقال : اقرأ ، فقال النبي ﷺ : ما أنا بقارئ - يعني لست أعرف القراءة - فذكر الحديث وفيه : ثم قال : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (١) .

وفيها عن جابر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال وهو يحدث عن فترة الوحي : (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فذكر الحديث وفيه : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ ﴾ إلى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ (٢) .

وتمت آيات يقال فيها : أول ما نزل ، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيّدة ، مثل حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأل : أي القرآن أنزل أول ؟ قال جابر : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ ، قال أبو سلمة : " أنبت أنه ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ ، قال جابر : " لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : (جَاوَرَتْ فِي حِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتَ جَوْلِي هَبَطَتْ ...) ، فذكر الحديث وفيه : (فَاتَتْ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ : دَثِرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ (٣) .

فهذه الأولوية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول من نزل بعد فترة الوحي أو أول ما نزل في شأن الرسالة ؛ لأن ما نزل من سورة " اقرأ " ثبتت به نبوة النبي ﷺ ، وما نزل من سورة " المدثر " ثبتت به الرسالة في قوله : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ ﴾

ولهذا قال أهل العلم : إن النبي ﷺ نُبئ بـ ﴿ أَقْرَأْ ﴾ ورُسل بـ ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

(١) أخرجه البخاري (3 ، 3392 ، 4953 - وغير موضع) ، ومسلم (190) .

(٢) أخرجه البخاري (4 ، 3238 ، 4922 - وغير موضع) ، ومسلم (191) .

(٣) أخرجه البخاري (4 ، 4924 - وغير موضع) ، ومسلم (161) .

نزول القرآن ابتدائي وسبي

ينقسم نزول القرآن إلى قسمين :

القسم الأول : ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله بسبب يقتضيه وهو غالب آيات القرآن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَإِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة : 75] فإنها نزلت ابتداء في بيان حال بعض المنافقين ، وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصة طويلة ذكرها كثير من المفسرين وروّجها كثير من الوعاظ فضعيف لا صحة له (4) .

القسم الثاني : سبي وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه ، والسبب :

(أ) إما سؤال يجيب الله عنه مثل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّةُ ﴾ [البقرة : 189] .

(ب) أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : 65] الآيتين نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس : " مارأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه - ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن ، فجاء الرجل يعتذر إلى النبي ﷺ ، فيجيبه : ﴿ أَبِاللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : 65] (5) .

(4) أخرجه : الطبراني (218 / 8 - 219) والبيهقي في " شعب الإيمان " (4357) وقال : في إسناده هذا الحديث نظر ، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير ، والله أعلم . أ . هـ .

وقال الحافظ في " الفتح " في كتاب الزكاة في باب " وجوب الزكاة " : هذا حديث ضعيف لا يحتج به .
(5) أخرجه : الطبري في " تفسيره " (408 / 6) في تفسير الآية من سورة المائدة ، من حديث ابن عمر ؓ .

(ج) أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ﴾ [المجادلة : 1] الآيات .

فوائد معرفة أسباب النزول :

معرفة أسباب النزول مهمة جدًا لأنها تؤدي إلى فوائد كثيرة منها :

1 - بيان أن القرآن نزل من الله تعالى ، وذلك لأن النبي ﷺ يُسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحيانًا حتى ينزل عليه الوحي ، أو يخفى عليه الأمر الواقع فينزل الوحي مبينًا له .

مثال الأول : قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ [الإسراء : 85] ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن رجلاً من اليهود قال : يا أبا القاسم ، ما الروح ؟ فسكت - وفي لفظ : فأمسك - النبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ۝ ﴾ [الإسراء : 85] (6) .

ومثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لِمَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۝ ﴾ [المنافقون : 8] ، ففي صحيح البخاري أن زيد بن لُقم رضي الله عنه سمع عبد الله بن أبي رأس المنافقين يقول ذلك ، يريد أنه الأعز ورسول الله ﷺ وأصحابه الأذل ، فأخبر زيد عمه بذلك ، فأخبر به النبي ﷺ ، فدعا النبي ﷺ زيداً فأخبره بما سمع ، ثم أرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فصدّقهم

⁶ (أخرجه البخاري (125 ، 4721 - وغير موضع) ، ومسلم (2794) .

رسول الله ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ زَيْدٍ فِي هَذِهِ آيَةٍ ؛ فَاسْتَبَانَ الْأَمْرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ (7) .

2 - بيان عناية الله تعالى برسوله ﷺ في الدفاع عنه .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۚ ﴾ [الفرقان : 32] ، وكذلك آيات الإفك فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ وتطهيراً له عما دنسه الأفاكون .

3 - بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم .
مثال ذلك آية التيمم ، ففي صحيح البخاري أنه ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها وهي مع

النبي ﷺ في بعض أسفاره ، فأقام النبي ﷺ لطلبه وأقام الناس على غير ماء ، فشكوا ذلك إلى أبي بكر - فذكر الحديث ، وفيه : فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيْمِمِ ، فتيمموا ، فقال أسيد بن خضير : ما هي بأول وكتكم يا آل أبي بكر ، والحديث في البخاري مطولاً (8) .

4 - فهم الآية على الوجه الصحيح .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّافَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ [البقرة : 158] أي يسعى بينهما ، فإن ظاهر قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ أن غاية أمر السعي بينهما أن يكون من قسم المباح ، وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال : سألت أنس بن مالك رضي الله عنه

(7) أخرجه : البخاري (4900 ، 4901 - وغير موضع) ، ومسلم (2772) .

(8) أخرجه البخاري (334 ، 336 - وغير موضع) ، ومسلم (367) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

الصفاء والمروة ، قال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۖ ﴾ (9) .

وبهذا عُرف أن نفي الجُناح ليس المراد به بيان أصل حكم السعي ، وإنما المراد نفي تحرُّجهم بإمساكهم عنه حيث كانوا يَرَوْنَ أنهما من أمر الجاهلية ، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله : ﴿ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ ﴾ .

عموم اللفظ وخصوص السبب :

إذا نزلت الآية لسبب خاص ولفظها عام كان حكمها شاملاً لسببها ولكل ما يتناولها لفظها ؛ لأن القرآن نزل تشريعاً عاماً لجميع الأمة ، فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه .

مثال ذلك آيات اللعان وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ

شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور : 6 - 9] ، ففي

صحيح البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء ، فقال النبي ﷺ : البينة أو حدٌ في ظهرك ، فقال هلال : والذي بعثك بالحق ، إني لصادق فليزِلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ﴾ فقرأ حتى

بلغ ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الحديث (10) .

فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامراته ، لكن حكمها شامل له

(9) أخرجه : البخاري (1648 ، 4496) ، ومسلم (1278) .

(10) أخرجه : البخاري : (2671 ، 4747 ، 5307) .

ولغيره ، بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : أن عويمر العجلاني جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فقال النبي ﷺ : قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك : فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمي الله في كتابه فلا عنها . الحديث (11) .

فجعل النبي ﷺ حكم هذه الآيات شاملاً لالهال بن أمية وغيره .

المكي والمدني

نزل القرآن على النبي ﷺ مُفَرَّقًا في خلال ثلاث وعشرين سنة قضى رسول الله ﷺ أكثرها بمكة ، قال الله تعالى : ﴿ وَقرآنًا فرقناه لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُنَزِّلُاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء : 106] ولذلك قسّم العلماء - رحمهم الله تعالى - القرآن إلى قسمين مكي ومدني :

فالمكي : ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ، والمدني : ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة .
وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : 3] من القسم المدني وإن كانت قد نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع بعرفة ، ففي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه قال : " قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ نزلت وهو قائم بعرفة يوم الجمعة " (12) .

¹¹ (أخرجه : البخاري : (423 ، 4745 - غير موضع) ، ومسلم (1492) .
¹² (أخرجه : البخاري (45 ، 4407 ، 4606 ، 7268) ، ومسلم (3017) .

ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع :

(أ) أما من حيث الأسلوب فهو :

1 - الغالب في المكي قوة الأسلوب ، وشدة الخطاب ؛ لأن غالب المخاطبين مُعرضون مستكبرون ، ولا يليق بهم إلا ذلك ، اقرأ سورتي (المدثر - القمر) .
أما المدني فالغالب في أسلوبه اللين ، وسهولة الخطاب ؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون ، اقرأ سورة (المائدة) .

2 - الغالب في المكي قِصر الآيات وقوة المحاجة ؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون فخطبوا بما تقتضيه حالهم ، اقرأ سورة (الطور) .
أما المدني : فالغالب فيه طول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون مُحاجة ؛ لأن حالهم تقتضي ذلك ، اقرأ (آية الدّين في سورة البقرة) .

(ب) وأما من حيث الموضوع فهو :

1 - الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة ، خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث ؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك .
أما المدني فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات ؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات .

2 - الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال ذلك ، حيث سُرّع الجهاد وظهر النفاق ، بخلاف القسم المكي .

فوائد معرفة المكي والمدني :

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة ، وذلك لأن فيها فوائد ، منها :

- 1 - ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه من قوة وشدة أو لين وسهولة.
- 2 - ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته ، حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.
- 3 - تربية الدعاة إلى الله تعالى وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع من حيث المخاطبين ، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم ، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.
- 4 - تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية يتحقق فيهما شروط النسخ ، فإن المدنية ناسخة للمكية لتأخر المدنية عنها .

الحكمة من نزول القرآن مفرقاً :

من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني يتبين أنه نزل على النبي ﷺ مفرقاً ، ولنزوله على هذا الوجه حكم كثيرة منها :

- 1 - تثبت قلب النبي ﷺ لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ - يعني كذلك نزلناه مفرقاً - لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : 32 - 33] .
- 2 - أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به حيث يقرأ عليهم شيئاً فشيئاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء : 106] .

3 - تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه ، حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية ، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها ، كما في آيات الإفك واللعان .

4 - التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه وألفوه وكان من الصعب عليهم أن يجابها بالمنع منه منعاً باتاً ، فنزل في شأنه أولاً قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : 219] فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه ، حيث إن العقل يقتضي أن لا يملس شيئاً إثمه أكبر من نفعه .

ثم نزل ثانياً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : 43] فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات .

ثم نزل ثالثاً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٩١ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ٩٢ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة : 90 - 92] فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعاً باتاً في جميع الأوقات بعد أن هُيئت النفوس ، ثم مُرنت على المنع في بعض الأوقات .

ترتيب القرآن :

ترتيب القرآن : تلاوته تاليًا بعضه بعضًا حسبما هو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في الصدور .

وهو ثلاثة أن أنواع :

النوع الأول : ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية ، وهذا ثابت بالنص والإجماع ، ولا نعلم مخالفًا في وجوبه وتحريم مخالفته ، فلا يجوز أن يقرأ : (لله الحمد رب العالمين) بدلًا من ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ 1

الفاحة : 2] .

النوع الثاني : ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة ، وهذا ثابت بالنص والإجماع ، وهو واجب على القول الراجح وتحريم مخالفته ، ولا يجوز أن يقرأ (مالك يوم الدين الرحمن الرحيم) بدلًا من ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ 3

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ٤ ﴾ [الفاتحة : 2 - 3] ، ففي صحيح البخاري : أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان بن عفان ؓ في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة : 240] : قد نسختها الآية الأخرى - يعني قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : 234] وهذه قبلها في التلاوة قال : فلم تكتبها ؟ فقال عثمان

ﷺ : يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه " (13) ، وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث عثمان ؓ : (أن النبي ﷺ كان ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) (14) .

(13) أخرجه : البخاري : (4530 ، 4536)

(14) أخرجه : أحمد : (5711 ، 69) ، وأبو داود (786) ، والنسائي في " الكبرى " (8007) ، والترمذي (3086)

النوع الثالث : ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف وهذا ثابت بالاجتهاد فلا يكون واجباً . وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : (أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي ﷺ البقرة ثم النساء ثم آل عمران)^(15) ، وروى البخاري تعليقا عن الأحنف : أنه قرأ في الأولى بالكهف وفي الثانية بيوسف أو يونس ، وذكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما (16) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : تجوز قراءة هذه قبل هذه ، وكذا في الكتابة ، ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في كتابتها ، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه صار هذا لما سنّه الخلفاء الراشدون ، وقد دل الحديث (17) على أن لهم سنة يجب اتباعها . اهـ.

كتابة القرآن وجمعه

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : في عهد النبي ﷺ ، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة ؛ لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة ، ولذلك لم يجمع في مصحف ، بل كان من سمع آية حفظها أو كتبها فيما تيسر له من عُشْبِ النخل ورقّاع الجلود ولِخَافِ الحجارة وكِسْرِ الأَكْتَافِ ، وكان القراء عدداً كبيراً ، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي

(15) أخرجه : مسلم : (772)

(16) ذكره البخاري في كتاب : الأذان ، باب : " الجمع بين السورتين في الركعة ... "

(17) المراد بالحديث هذا هو حديث العرباض بن سارية وفيه : (... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) .

أخرجه : أبو داود (4607) ، والترمذي (2676) ، وابن ماجه (42 ، 43 ، 44) ، وراجع " الإرواء " (2455) " والصحيحة " (937) .



بَعَثَ سَبْعِينَ رَجُلًا يَقَالُ لَهُمْ : الْقُرَاءُ ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ رِغْلَ وَذَكْوَانَ عِنْدَ بَيْتِ مَعُونَةَ فَقَتَلُوهُمْ (١٨) ، وَفِي الصَّحَابَةِ غَيْرُهُمْ كَثِيرٌ كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ (١٩) .

المرحلة الثانية : في عهد أبي بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَسَبَبُهُ أَنَّهُ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْقُرَاءِ مِنْهُمْ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ أَحَدٌ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ (ﷺ) بِأَخْذِ الْقُرْآنِ مِنْهُمْ ، فَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِجَمْعِهِ لئَلَّا يَضْيَعُ ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَشَارَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِجَمْعِ الْقُرْآنِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ فَتَوَقَّفَ ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرَاغِبُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، فَأَتَاهُ وَعِنْدَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٍ عَاقِلٌ لَا نَتَهَمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعِهِ ، قَالَ : فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مَطْوَلًا (٢٠) . وَقَدْ وَافَقَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ وَعَدُّوهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّى قَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : أَعْظَمُ النَّاسِ فِي الْمَصَاحِفِ أَجْرًا أَبُو بَكْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ (٢١) .

المرحلة الثالثة : فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعَشْرِينَ وَسَبَبُهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْقِرَاءَةِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الصُّحُفِ الَّتِي فِي أَيْدِي الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فَخِيفَتِ الْفِتْنَةُ فَأَمَرَ عُثْمَانُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنْ تَجْمَعَ هَذِهِ الصُّحُفُ فِي مِصْحَفٍ وَاحِدٍ لئَلَّا يَخْتَلِفَ النَّاسُ فَيَتَنَزَّعُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَفَرَّقُوا ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ قَدَّمَ عُثْمَانَ مِنْ فَتْحِ لُرْمِينِيَّةِ

(18) أَخْرَجَهُ : الْبُخَارِيُّ (1001 ، 3064 - وَغَيْرُ مَوْضِعٍ) .

وَالْعُسْبُ : جَمْعُ عُسْبٍ ؛ وَهُوَ جَرِيدُ النَّخْلِ .

وَاللَّخَافُ : جَمْعُ لَخْفَةٍ ؛ وَهُوَ حَجَرٌ أَبْيَضٌ عَرِيضٌ رَقِيقٌ .

(19) أَخْرَجَهُ : الْبُخَارِيُّ (2807 - 7191 - وَغَيْرُ مَوْضِعٍ) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

(20) أَخْرَجَهُ : ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي " كِتَابِ الْمَصَاحِفِ " (ص 5) .

وأُذْربيجان وقد أفرعه اختلافهم في القراءة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فُرسل عثمان إلى حفصة أن أُرسل إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، ففعلت ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وكان زيد بن ثابت أنصاريًا والثلاثة قرشيين - وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأُرسل إلى كل أفُق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . وقد فعل عثمان رضي الله عنه هذا بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنهم لما روى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه قال : والله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا ، قال : رُي أن جمع الناس على مصحف واحد فلا تكن فرقة ولا اختلاف ، قلنا : فَنِعْمَ ما رأيت (1) . وقال مصعب بن سعد : أُوكت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم ينكر ذلك منهم أحد (2) . وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه التي وافقه المسلمون عليها وكانت مُكَمِّلة لجمع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه ، والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر - رضي الله عنهما - أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحف واحد وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد .

(21) أخرجه : ابن أبي داود في " كتاب المصاحف " (ص 22) .

(22) أخرجه : ابن أبي داود في " كتاب المصاحف " (ص 12) .

وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فهو تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد ، يحمل الناس على الاجتماع عليه ؛ لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات .

وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة واتفاق الكلمة وحلول الألفة ، واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة واختلاف الكلمة وفشو البغضاء والعداوة . وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متفقاً عليه بين المسلمين متواتراً بينهم ، يتلقاه الصغير عن الكبير ، لم تعبث به أيدي المفسدين ولم تطمسه أهواء الزائغين ، فله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين .

التفسير

التفسير لغة : من الفسر وهو الكشف عن المغطى .

وفي الاصطلاح : بيان معاني القرآن الكريم .

وتعلم التفسير واجب ، لقوله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29] ، ولقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : 24] .

وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بيّن أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته ويتعضوا بما فيها ؛ والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها ، فإذا لم يكن ذلك فانت الحكمة من إنزال القرآن وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها .

ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه .

ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وَبَّخَ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن ، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم وعدم وصول الخير إليها .

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة ، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه ؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به ، فإن العمل بما لا يُعرف معناه غير ممكن .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي : حدثنا الذين كانوا يُقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ²³

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه ، فيكف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم " ²⁴

ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المُشافهة ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : 187] وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه ، فيكون تفسير القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه .

والغرض من تعلُّم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله ليعبد الله بها على بصيرة .

²³ (أخرجه : الطبري في " التفسير " (1 / 60) .

²⁴ (" مجموع الفتاوى " (13 / 332) .

الواجب على المسلم في تفسير القرآن

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشعر نفسه حين يُفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى ، شاهد عليه بما أراد من كلامه ، فيكون مُعظماً لهذه الشهادة ، خائفاً من أن يقول على الله بلا علم فيقع فيما حرم الله فيُخزى بذلك يوم القيامة ، قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 33] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: 60] .

المرجع في تفسير القرآن

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي :

أولاً : كلام الله تعالى فيفسر القرآن بالقرآن ؛ لأن الله تعالى هو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد به .

ولذلك أمثلة منها :

1 - قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: 62]

فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 63]

• [63]

2 - قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ [الطارق : 2] فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [الطارق : 3] .

3 - قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النّزعات : 30] فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النّزعات : 31 - 32] .

ثانيًا : كلام رسول الله ﷺ فيفسر القرآن بالسنة ؛ لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه .

ولذلك أمثلة منها :

1 - قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : 26] فقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحًا من حديث أبي موسى وأبي بن كعب ، ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عُجرة²⁵ ، وفي صحيح مسلم عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ في حديث قال فيه : (فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ) ثم تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾²⁶ .

2 - قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : 60] فقد فسر النبي ﷺ القوة بالرّمي ، رواه مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر²⁷ .

²⁵ (أخرج أحاديثهم الطبري في " تفسيره " للآية الكريمة من سورة يونس (6 / 549 - 552) . وراجع " تفسير ابن كثير " في تفسيره لهذه الآية .

²⁶ (أخرجه : مسلم (181) .

²⁷ (أخرجه : مسلم (1917) ، وأبو داود (2514) ، والترمذي (3083) ، وابن ماجه (2813) .

ثالثًا : كلام الصحاب رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم ، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق وأسلمهم من الأهواء وأطهرهم من المخالفات التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب .

ولذلك أمثلة كثيرة جدًا منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء : 43] فقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه فسر الملامسة بالجماع²⁸

رابعًا : كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة وأسلم من الأهواء ممن بعدهم ، ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيرًا في عصرهم فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا أجمعوا (التابعين) على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك " ²⁹

وقال أيضًا : " من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك بل مبتدعًا وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه " ³⁰ ثم

²⁸ أخرجه : عبد الرزاق في " مصنفه " (1 / 134) ، وابن أبي شيبة في " مصنفه " أيضا (1 / 192) .

²⁹ (" مجموع الفتاوى " (13 / 370) .

³⁰ (" مجموع الفتاوى " (13 / 361) .

قال : " فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً " (31)

خامساً : ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء : 105] ، وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : 3] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : 4] فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي أخذ بما يقتضيه الشرعي ؛ لأن القرآن نزل لبيان المشرع لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به .

مثال ما اختلف فيه المعنيان وقدم الشرعي : قوله تعالى في المنافقين : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة : 84] فالصلاة في اللغة الدعاء وفي المشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة ، فيقدم المعنى الشرعي ؛ لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب ، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليل آخر .

ومثال ما اختلف فيه المعنيان ، وقدم فيه اللغوي بالدليل : قوله - تعالى - : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : 103] فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل ما رواه مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : (كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم . فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى) (32)

(31) " مجموع الفتاوى " (13 / 362) .

(32) أخرجه : مسلم (1078) ، وكذلك أخرجه البخاري (1497 ، 4166 ، 6332 ، 6359) .

وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشرعي واللغوي كثيرة : كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان .

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام :

الأول : اختلاف في اللفظ دون المعنى ، فهذا لا تأثير له في معنى الآية . مثاله قوله - تعالى - : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : 23] قال ابن عباس :

قضى : أمر . وقال مجاهد : وصى . وقال الربيع بن أنس : أوجب . وهذه التفسيرات معناها واحد أو متقرب ، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية .

الثاني : اختلاف في اللفظ والمعنى والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل ، لما تعنيه الآية أو التنويع ، مثاله قوله -

تعالى - : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [١٧٥] وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف : 175 -

176] ، قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل ، وعن ابن عباس أنه : رجل من أهل اليمن ، وقيل : رجل من أهلا البلقاء .

والجمع بين هذه الأقوال : أن تحمل الآية عليها كلها ؛ لأنها تحتملها من غير تضاد ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل .

ومثال آخر : قوله - تعالى - : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ ﴾ [النبا: 34] ، قال ابن عباس : دهاقًا مملوءة ، وقال مجاهد : متتابعة ، وقال عكرمة : صافية .

ولا منافاة بين هذه الأقوال ، والآية تحتملها ، فتحمل عليها جميعًا ويكون كل قول لنوع من المعنى .

الثالث : اختلاف اللفظ والمعنى والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما ، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره ، مثال ذلك : قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١١٥ ﴾ [النحل: 115] ، قال ابن عباس : غير باغ في الميتة ولا عاد في أكله ، وقيل : غير خرج على الإمام ولا عاص بسفره ، والأرجح الأول ؛ لأنه لا دليل في الآية على الثاني ، ولأنَّ المقصود بحلِّ ما ذكر دفع الضرورة ، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام وفي حال السفر المحرم وغير ذلك .

ومثال آخر قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۝٢٣٧ ﴾ [البقرة: 237] ، قال علي بن أبي طالب عليه السلام في الذي بيده عقدة النكاح : هو الزوج ، وقال ابن عباس : هو الولي ، والراجح الأول لدلالة المعنى عليه ، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ (38) .

³³ (أخرجه الطبراني في " الأوسط " (6359) ، والدارقطني في " السنن " (3 / 279) من حديث عمرو بن شعيب عن جده .

ترجمه القرآن

الترجمة لغة : تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح .

وفي الاصطلاح : التعبير عن الكلام بلغة أخرى .

وترجمة القرآن : التعبير عن معناه بلغة أخرى .

والترجمة نوعان :

أحدهما : ترجمة حرفية ؛ وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بلزائها .

الثاني : ترجمة معنوية أو تفسيرية وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب .

مثال ذلك : قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [3]

الزخرف : 3] .

فالترجمة الحرفية : أن يترجم كلمات هذه الآية كلمةً كلمةً فيترجم ﴿ إِنَّا ﴾ ثم

﴿ جَعَلْنَاهُ ﴾ ثم ﴿ قُرْآنًا ﴾ ثم ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ وهكذا .

والترجمة المعنوية : أن يترجم معنى الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي .

حكم ترجمة القرآن :

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم ، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحقيقها معها وهي :



- (أ) وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بِلَاء حروف اللغة المترجم منها .
- (ب) وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها .
- (ج) تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات .
- وقال بعض العلماء : إن الترجمة الحرفية يمكن تحقيقها في بعض آية أو نحوها ، ولكنها - وإن أمكن تحقيقها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن المبين ، ولا ضرورة تدعو إليها للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية .
- وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حَسًّا في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعًا ، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة مَنْ يخاطبه ليفهمها من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس .
- وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل ؛ لأنه لا محذور فيها ، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية ؛ لأن إبلاغ ذلك واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .
- لكن يشترط لجواز ذلك :
- الأول : أن لا تجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه ، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة لتكون كالتفسير له .
- الثاني : أن يكون المترجم عالمًا بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها وما تقتضيه حسب السياق .



الثالث : أن يكون عالمًا بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن .

ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها ، بحيث يكون مسلمًا مستقيمًا في دينه .

المشتهرون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة ، ذكر السيوطي ³⁴ منهم : الخلفاء الأربعة أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة ، لانشغالهم بالخلافة وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير .

ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضًا : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، فلنترجم لحياة علي بن أبي طالب مع هذين .

1 - علي بن أبي طالب :

هو ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة ؓ وأول من آمن به من قرابته ،

اشتهر بهذا الاسم وكنيته أبو الحسن وأبو تراب .

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين ، وترى في حجر النبي ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها ، وكان صاحب اللواء في معظمها ولم يتخلف إلا في غزوة تبوك ، خلفه النبي ﷺ في أهله ، وقال له : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي) ³⁵ ، نقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل

³⁴ (" الإتقان لعلوم القرآن " للسيوطي (3 / 187) .

³⁵ (أخرجه البخاري (6 / 37 ، 4416) ، ومسلم (4 / 24) .

لغيره ، وهلك به طائفتان : النواصب الذين نصبوا له العداوة وحاولوا إخفاء مناقبه ، والروافض الذي بالغوا فيما زعموه من حبه وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه ، بل هو عند التأمل من المثالب .

اشتهر عليه السلام بالشجاعة والذكاء مع العلم والذكاء حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من مُغْضِلَةٍ ليس لها أبو حسن ، ومن أمثلة النحويين : قضية ولا أبا حسن لها ، وروي عن علي أنه كان يقول : سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : إذا جاءنا التثبت عن علي لم نَعْدِلْ به ، وروي عنه أنه قال : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب .

كان أحد أهل الشورى الذين رشّحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة ، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلا بشروط ولم يقبل بعضها ، ثم بايع عثمان فبايعه عليّ والناس ، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قُتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه .

2 - عبد الله بن مسعود :

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وأمه أم عَبْدَ كان ينسب إليها أحياناً ، وكان من السابقين الأولين في الإسلام وهاجر الهجرتين وشهد بلراً وما بعدها من المشاهد .

تلقى من النبي صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة من القرآن . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام : (إِنَّكَ لَغُلَامٌ مُعَلِّمٌ) ³⁶ وقال : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيُقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ) ³⁷ وفي صحيح البخاري أن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بَكِتَابِ اللَّهِ " ³⁸ .

36 (أخرجه : أحمد (1 / 379 ، 462) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

37 (أخرجه : ابن ماجه (138) من حديث أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

38 (أخرجه : البخاري (5000) ، وكذا مسلم (2462) .

وقال : " والله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَمْ كُتِبْ إِلَيْهِ " (39) .

وكان ممن خدم النبي ﷺ فكان صاحبُ نعليه وطهوره ووساده حتى قال أبو موسى الأشعري : " قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ " (40) ومن أجل ملازمته النبي ﷺ تأثر به وبهديه حتى قال فيه حذيفة : " ما أعرف أحدًا أقرب هَدْيًا وَسَمْتًا وَدَلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد " (41) .

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وبعث عمرًا أميرًا وقال : إنهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ فاقتدوا بهما ، ثم أمره عثمان على الكوفة ثم عزله وأمره بالرجوع إلى المدينة فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين ودُفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة .

3 - عبد الله بن عباس :

هو ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي ﷺ لأنه ابن عمه . وخالته ميمونة تحت النبي ﷺ ، وضمه النبي ﷺ إلى صدره ، وقال : (اللهم علمه الحكمة) ، وفي رواية : " الكتاب " (42) ، وقال له حين وضع له وضوءه : (اللهم فقهه في الدين) (43) ، فكان بهذا الدعاء المبارك حَبْرَ الأمة في نشر التفسير والفقه حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله ، فنال بذلك مكانًا عاليًا حتى كان أمير المؤمنين عمر بن

39 (أخرجه : البخاري (5002) ، ومسلم (2463) .

40 (أخرجه : البخاري (3763 ، 4384) ، ومسلم (2460) .

41 (أخرجه : البخاري (3762 ، 6097) .

42 (أخرجه : البخاري (75 ، 3756 ، 727) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

43 (أخرجه : البخاري (143) ، ومسلم (2477) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

الخطاب يدعوه إلى مَجَالِسِه ويأخذ بقوله ، فقال المهاجرون : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟! فقال لهم : ذاكم فتى الكُهُول له لسان سَتُول وقلب عَقُول (44) .

ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريههم منه مارآه ، فقال عمر : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: 1] حتى ختم السورة ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا . وسكت بعضهم ، فقال عمر لابن عباس : أكذلك تقول ؟ قال : لا . قال : فما تقول ؟ قال : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له ، إذا جاء نصر الله ، والفتح فتح مكة فذلك علامة أَجَلِكَ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تَوَابًا . قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم (45) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " لَنِعْمَ تُرْجُمان القرآن ابن عباس ، لو أدرك أسناننا ما عَلَثَرُهُ مَنَّا أحد " (46) أي ما كان نظيرًا له ، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستًا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما اكتسب بعده من العلم .

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية : " انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم مَنْ بقي بما أنزل على محمد ﷺ " ، قال عطاء : " مارأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهاً وأعظم خشيةً ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشَّعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع " ، وقال أبو وائل : " خطبنا ابن عباس وهو على المَوْسِم - أي والٍ على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه - فافتتح " سورة النور " فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول مارأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت " (47) .

⁴⁴ (أخرجه : عبد الرزاق في المصنف (4 / 376) ، (11 / 241) ، والحاكم (3 / 539 - 540) ، والطبراني في " معجمه الكبير " (10 / 265) .

⁴⁵ (أخرجه : البخاري (3627 ، 4294 - غير موضع) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

⁴⁶ (أخرجه : ابن أبي شيبة في " المصنف " (7 / 519) ، والحاكم في " المستدرک " (3 / 537) .

⁴⁷ (أخرجه الحاكم في " المستدرک " (3 / 537) .

ولاه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وولاه عليُّ على البصرة فلما قُتل مضى إلى الحجاز فأقام في مكة ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانية وستين عن إحدى وسبعين سنة .

المشتهرون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم :

(أ) أهل مكة : وهم أتباع ابن عباس كمجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح .

(ب) أهل المدينة : وهم أتباع أبي بن كعب ، كزيد بن أسلم وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي .

(ج) أهل الكوفة : وهم أتباع ابن مسعود ، كقتادة وعلقمة والشَّعبي .

فلنترجم لحياة اثنين من هؤلاء : مُجاهد وقتادة .

1- مُجاهد :

هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، روى ابن إسحاق عنه أنه قال : " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها " ، وكان سفيان الثوري يقول : " إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به " .

واعتمد تفسيره الشافعيُّ والبخاريُّ وكان كثيراً ما ينقل عنه في صحيحه ، وقال الذهبي في آخر ترجمته (48) " أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به " .

توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومئة عن ثلاث وثمانين سنة .

2 - قتادة :

هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري وُلد أكمه - أي أعمى - سنة إحدى وستين .

وَجَدَّ في طلب العلم ، وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه : " ما قلتُ لمحدث قط أعِدُّ لي ، ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي " ، وذكره الإمام أحمد فأطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه ، وقال : " قلماً تجد مَنْ يتقدمه ، أما المِثْلُ فلعل " ، وقال : " هو أحفظُ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه " .

توفي في واسط سنة سبع عشرة ومئة عن ست وخمسين سنة .

⁴⁸ (" ميزان الاعتدال " (4 / 360) .



القرآن محكم ومتشابه

يتنوع القرآن الكريم باعتبار الإحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الإحكام العام الذي وصف به القرآن كله ، مثل قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: 1] ، وقوله : ﴿ الرُّبْعُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: 1] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: 4] .

ومعنى هذا الإحكام الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه ، فهو في غاية الفصاحة والبلاغة ، أخبره كلها صدق نافعة ، ليس فيها كذب ولا تناقض ولا لغو لا خير فيه ، وأحكامه كلها عدل وحكمة ليس فيها جور ولا تعرض ولا حكم سفیه .

النوع الثاني : التشابه العام الذي وصف به القرآن كله ، مثل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 23] ومعنى هذا التشابه أن القرآن كله يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة والغايات الحميدة ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82] .

النوع الثالث : الإحكام الخاص ببعضه والتشابه الخاص ببعضه ، مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: 7] ومعنى هذا الإحكام أن يكون معنى الآية واضحاً جلياً لا خفاء فيه ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ٥ ﴾ [الحجرات: 13] ، وقوله : ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21] ، وقوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ [البقرة: 275] ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة: 3] وأمثال ذلك كثيرة . ومعنى هذا التشابه أن يكون معنى الآية مشتبهاً خفياً بحيث يتوهم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى أو كتابه أو رسوله ، ويفهم منه العالم الراسخ في العلم خلاف ذلك .

مثاله فيما يتعلق بالله تعالى أن يتوهم واهم من قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: 64] أن لله يدين مماثلتين لأيدي المخلوقين . ومثاله فيما يتعلق بكتاب الله تعالى أن يتوهم واهم تناقض القرآن وتكذيب بعضه بعضاً حين يقول : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ٥ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ٥ ﴾ [النساء: 79] ، ويقول في موضع آخر : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ٥ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ٥ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ٥ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 78] .

ومثاله فيما يتعلق برسول الله أن يتوهم واهم من قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس : 94] أن النبي ﷺ كان شاكا فيما أنزل إليه .

موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه

إن موقف الراسخين في العلم من المتشابه وموقف الزائغين منه بينه الله تعالى فقال في الزائغين : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : 7] ، وقال في الراسخين في العلم : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : 7] ، فالزائغون يتخذون من هذه الآيات المتشابهات وسيلة للطعن في كتاب الله ، وفتنة الناس عنه ، وتأويله لغير ما أراد الله تعالى به ، فيضلون ويضلون .

وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق وليس فيه اختلاف ولا تناقض ؛ لأنه من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : 82] وما جاء مشتبهاً رده إلى المحكم ليكون الجميع محكما .

ويقولون في المثال الأول : إن لله تعالى يدين حقيقتين على ما يليق بجلاله وعظمته لا تماثلان أيدي المخلوق ، كما أن له ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] .

ويقولون في المثال الثاني : إن الحسنة والسيئة كلتاهما بتقدير الله ﷻ ؛ لكن الحسنة سببها التفضل من الله تعالى على عباده ، أما السيئة فسببها فعل العبد ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : 30] فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه لا من إضافته إلى مُقَدَّره ، أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مقلده ، وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة .

ويقولون في المثال الثالث : إن النبي ﷺ لم يقع منه شك فيما أنزل إليه ، بل هو أعلم الناس به وأقواهم يقينا كما قال الله تعالى في نفس السورة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [يونس : 104] المعنى : إن كنتم في شك منه فأنا على يقين منه ، ولهذا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، بل أكفر بهم ، وأعبد الله .

ولا يلزم من قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ [يونس : 94] أن يكون الشك جائزا على الرسول ﷺ أو واقعا منه ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف : 81] هل يلزم منه أن يكون الولد جائزا على الله تعالى أو حاصلا ؟ كلا ، فهذا لم يكن حاصلا ولا جائزا على الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ إِنَّ كُلَّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : 92 - 93] .

ولا يلزم من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِينَ ﴾ [البقرة: 147] أن يكون الامتراء واقعا من الرسول ﷺ لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ واذع إلى رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: 87] ومن المعلوم أنهم لم يصدوا النبي ﷺ عن آيات الله ، وأن النبي ﷺ لم يقع منه الشرك ، والغرض من توجيه النهي إلى من لا يقع منه التنديد بما وقع منهم والتحذير من منهاجهم ، وبهذا يزول الاشتباه وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ .

أنواع التشابه في القرآن

التشابه الواقع في القرآن نوعان :

أحدهما : حقيقي وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله ﷻ ، فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: 110] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 103] .

ولهذا لما سئل الإمام مالك - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5] كيف استوى ؟

قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وهذا النوع لا يسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه .

النوع الثاني : نسبي وهو ما يكون مشتبهًا على بعض الناس دون بعض ، فيكون معلومًا للراسخين في العلم دون غيرهم ؛ وهذا النوع يسأل عن استكشافه وبيانهِ لإمكان الوصول إليه ، إذ لا يوجد في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس ، قال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : 138] ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : 89] ، وقال : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : 18 - 19] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : 174] .

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] حيث اشتبه على أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى ، وادَّعَوْا أن ثبوتها يستلزم المماثلة ، وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له ، وأن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المماثلة . ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 93] حيث اشتبه على الوعيدية ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمدًا مخلصًا في النار ، وطرّدوا ذلك في جميع أصحاب الكبائر ، وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : 70] حيث اشتبه على الجبرية ، ففهموا منه أن العبد مجبور على عمله ، وادَّعَوْا أنه ليس له إرادة ولا قدرة عليه ،

وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن للعبد إرادة وقدره ، وأن فعل العبد نوعان اختياري وغير اختياري .
والراسخون في العلم أصحاب العقول يعرفون كيف يُخَرِّجون هذه الآيات المتشابهة إلى معنى يتلاءم مع الآيات الأخرى فيبقى القرآن كله حكماً لا اشتباه فيه .

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه

لو كان القرآن كله محكمًا لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقًا وعملاً لظهور معناه وعدم المجال لتحريفه والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . ولو كان كله متشابهًا لفات كونه بيانًا وهدى للناس ، ولما أمكن العمل به وبناء العقيدة السليمة عليه ؛ ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات يرجع إليهن عند التشابه ، وآخر متشابهات امتحانًا للعباد ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زَيْغٌ ، فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى ، وما كان من عند الله فهو حق ، ولا يمكن أن يكون فيه باطل أو تناقض لقوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : 42] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : 82] .

وأما من في قلبه زَيْغٌ فيتخذ من المتشابه سبيلًا إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار ، والاستكبار عن الأحكام ، ولهذا تجد كثيرًا من المنحرفين في العقائد والأعمال يحتجّون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة .

موهم التعارض في القرآن

التعارض أن تتقابل آيتان بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى ، مثل أن تكون إحداهما مثبتة لشيء والأخرى نافية له .

ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري ؛ لأنه يلزم كون إحداهما كذباً وهو مستحيل في أخبار الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : 87] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : 122] ، ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حُكْمِي لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى ، قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة : 106] ، وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معرض للأخيرة .

وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك فحاول الجمع بينهما ، فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف وتكل الأمر إلى عالمه .

وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - أمثلة كثيرة لما يوهم التعارض وبينوا الجمع في ذلك .

ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب " دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب " للشيخ محمد الشنقيطي - رحمه الله تعالى - ، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى في القرآن : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : 2] ، وقوله فيه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : 185] فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين وفي الثانية عامة للناس ، والجمع بينهما أن الهداية في

الأولى هداية التوفيق والانتفاع ، والهداية في الثانية هداية التبیین والإرشاد .
ونظير هاتين الآيتين قوله تعالى في الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56] ، وقوله فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: 52] فالأولى هداية التوفيق ، والثانية هداية التبیین
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
﴿ [آل عمران : 18] ، وقوله : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : 62] ، وقوله : ﴿
وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [القصص : 88] ، وقوله : ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ
الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَثْيِيبٍ ﴿ [١١١]
[هود : 101] ، ففي الآيتين الأوليين نفي الألوهية عما سوى الله تعالى ، وفي الآخرين
إثبات الألوهية لغيره .

والجمع بين ذلك أن الألوهية الخاصة بالله ﷻ هي الألوهية الحق ، وأن المثبتة
لغيره هي الألوهية الباطلة ، لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج : 62] .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف : 28] ،
وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَدَمَّرْنَاَهَا تَذْمِيرًا ﴾ [الإسراء : 16] ، ففي الآية الأولى نفي أن يأمر الله تعالى
بالفحشاء ، وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق .

والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي ، والله تعالى لا يأمر
شرعا بالفحشاء ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ

وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿ [النحل: 90] ، والأمر في الآية الثانية هو الأمر الكوني والله تعالى يأمر كونًا بما شاء حسب ما تقتضيه حكمته ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: 82] .

ومن رام زيادة أمثلة فليرجع إلى كتاب " الشنقيطي " المشار إليه آنفا .

القَسَم

القَسَم : بفتح القاف والسين : اليمين ، وهو تأكيد الشيء بذكر مُعْظَم ، بالواو أو إحدى أخواتها ، وأدواته ثلاث :

- الواو ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [الذريات : 23] ، ويحذف معها العامل وجوبًا ولا يليها إلا اسم ظاهر .
- والباء ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة : 1] ويجوز معها ذكر العامل كما في هذا المثال ، ويجوز حذفه كقوله تعالى عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: 82] ، ويجوز أن يليها اسم ظاهر كما مثلنا ، وأن يليها ضمير كما في قولك : الله ربي وبه أحلف لينصرن المؤمنين .

- والتاء ، مثل قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل : 56] ، ويحذف معها العامل وجوبًا ، ولا يليها إلا اسم الله أو رب ، مثل : تَرَبَّ الكعبة لأحجن إن شاء الله .

والأصل ذكر المُقَسَم به ، وهو كثير كما في المثل السابقة .

وقد يحذف وحده مثل قولك : أحلف عليك لتجتهدن .

وقد يحذف مع العامل وهو كثير ، مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ

النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : 8] .

والأصل ذكر المُقَسَّم عليه وهو كثير ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ

[التغابن : 7] .

وقد يحذف جوازًا ، مثل قوله تعالى : ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق : 1] ،

وتقديره لِيُهْلَكَنَّ .

وقد يحذف وجوبًا إذا تقدمه أو اكتنفه ما يغني عنه ، قال ابن هشام في المغني : " ومثّل له بنحو : زيد قائم والله ، وزيد والله قائم " .

وللقسم فائدتان :

إحداهما : بيان عظمة المُقَسَّم به .

والثانية : بيان أهمية المُقَسَّم عليه وإرادة تو كيده ، ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية :

الأولى : أن يكون المُقَسَّم عليه ذا أهمية .

الثانية : أن يكون المخاطب مترددًا في شأنه .

الثالثة : أن يكون المخاطب مُنْكَرًا له .

القصص

القصص والقص لغة : تتبع الأثر .

وفي الاصطلاح : الأخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضًا .

وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : 87] ، وذلك لتمام مطابقتها للواقع .

وأحسن القصص لقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف : 3] ، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى .

وأنفع القصص لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : 111] ، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق .

وهي ثلاثة أقسام :

- قسم عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين .
- وقسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم ، ولقمان ، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وذو القرنين ، وقارون ، وأصحاب الكهف ، وأصحاب الفيل ، وأصحاب الأخدود ، وغير ذلك .
- وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر ، وأحد ، والأحزاب ، وبني قريظة ، وبني النضير ، وزيد بن حارثة ، وأبي لهب ، وغير ذلك .

وللقصص في القرآن حِكَم كثيرة عظيمة منها :

- 1 - بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴿٥﴾ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ ﴿٦﴾ ﴾ [القمر : 4 ، 5] .
- 2 - بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين ، لقوله تعالى عن المكذبين : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [هود : 111] .
- 3 - بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القمر : 34 ، 35] .
- 4 - تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فاطر : 25 ، 26] .
- 5 - ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء : 88] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم : 47] .

6 - تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد : 10] .

7 - إثبات رسالة النبي ﷺ ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله ﷻ ، لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هود : 49] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [إبراهيم : 9] .

تكرار القصص

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة ، مثل لقمان ، وأصحاب الكهف . ومنها ما يأتي متكررا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة ، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر .

ومن الحكمة في هذا التكرار :

1 - بيان أهمية تلك القصة ؛ لأن تكرارها يدل على العناية بها .

2 - تأكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس .

- 3 - مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبًا فيما أتى من القصص في السور المكية ، والعكس فيما أتى في السور المدنية .
- 4 - بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال .
- 5 - ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى ، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض .

الإسرائيليات

الإسرائيليات : الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود - وهو الأكثر - أو من النصرى .

وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع :

الأول : ما أقره الإسلام وشهد بصدقه فهو حق ، مثاله : ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالشَّجَرِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ۝۱۰ ﴾

الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: 67]

(49)

الثاني : ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل ، مثاله : ما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : " كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ : إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحُولُ " . فنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: 223] (50)

الثالث : ما لم يقره الإسلام ولم ينكره فيجب التوقف فيه ، لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ) وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ [العنكبوت: 46] (51)

ولكن التحدث بهذا النوع جائز إذا لم يخش محذور لقول النبي ﷺ : (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (52) رواه البخاري .

وغالب ما يروى عنهم من ذلك ليس بذي فائدة في الدين كتعيين لون كلب أصحاب الكهف ونحوه .

وأما سؤال أهل الكتاب عن شيء من أمور الدين فإنه حرام ، لما رواه أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ

(49) أخرجه : البخاري (4811 ، 7414 - وغير موضع) ، وكذلك مسلم (2786) .

(50) أخرجه : البخاري (4528) ، وكذلك مسلم (1435) .

(51) أخرجه : البخاري (4485 ، 7362 ، 7542) .

(52) أخرجه : البخاري (3461) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْلُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكْذِبُوا بِحَقٍّ ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي) (53

وروى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال : " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَخَذْتُ الْأَخْبَارَ بِاللَّهِ مُحْضًا لَمْ يَشِبْ ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَلُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَا يَنْهَأَكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ " (54

موقف العلماء من الإسرائيليات

اختلفت مواقف العلماء ولاسيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة أنحاء :

(أ) فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدها ، مثل ابن جرير الطبري .

(ب) ومنهم من أكثر منها وجردتها من الأسانيد غالبًا فكان حاطب لئيل ، مثل البغوي ، الذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيره : " إنه مختصر من الثعلبي ، لكنّه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة " (54 وقال عن

(53) أخرجه : أحمد (3 - 338 ، 387) .

(54) أخرجه : البخاري (2685 ، 7363 ، 7522 ، 7523) .

(55) " مجموعة الفتاوى " (13 - 354) .

الثعلبي : " إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع " (54)

(ج) ومنهم من ذكر كثيرا منها وتعقّب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار ، مثل ابن كثير .

(د) ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئا يجعله تفسيراً للقرآن ، كـ محمد رشيد رضا .

الضمير

الضمير لغة : من الضُّمور وهو الهزال لقلة حروفه ، أو من الإضممار وهو الإخفاء لكثرة استتاره .

وفي الاصطلاح : ما كُني به عن الظاهر اختصارا ، وقيل : ما دل على حضور أو غيبة لا من مادتهما .

فالدال على الحضور نوعان :

أحدهما : ما وضع للمتكلم ، مثل : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [غافر : 44] .

الثاني : ما وضع للمخاطب ، مثل : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : 7] .

وهذان لا يحتاجان إلى مرجع اكتفاء بدلالة الحضور عنه .



والدال على الغائب : ما وضع للغائب ، ولا بد له من مرجع يعود عليه .
والأصل في المرجع أن يكون سابقا على الضمير لفظا ورتبة مطابقا له لفظا ومعنى ،
مثل : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ﴾ [هود : 45] .

وقد يكون مفهوما من مادة الفعل السابق ، مثل : ﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : 8] .

وقد يسبق لفظا لارتبة ، مثل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ [البقرة : 124] .

وقد يسبق رتبة لا لفظا ، مثل : " حمل كتابه الطالب " .
وقد يكون مفهوما من السياق ، مثل : ﴿ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء : 11] ، فالضمير يعود على الميت المفهوم من قوله :
﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ .

وقد لا يطابق الضمير معنى ، مثل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ﴾

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ۝ [المؤمنون : 12 - 13] ، فالضمير يعود على الإنسان باعتبار اللفظ ؛
لأن المَجْعُول نطفة ليس الإنسان الأول .

وإذا كان المرجع صالحا للمفرد والجمع جاز عود الضمير عليه بأحدهما ، مثل :
﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝١١ ﴾ [الطلاق : 11] .

والأصل اتحاد مرجع الضمائر إذا تعددت ، مثل : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝ ﴾ [النجم : 5 - 10] ، فضمائر الرفع في هذه الآيات تعود إلى شديد القوى وهو جبريل .

والأصل عود الضمير على أقرب مذكور إلا في المتضايفين فيعود على المضاف ؛ لأنه المتحدث عنه ، مثال الأول ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الإسراء : 2] .

ومثال الثاني : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : 34] .
وقد يأتي على خلاف الأصل فيما سبق بدليل يدل عليه .

الإظهار في موضع الإضمار

الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير لأنه أبين للمعنى وأخصر للفظ ، ولهذا ناب الضمير في قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب : 35] عن عشرين كلمة المذكورة قبله ، وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر وهو ما يسمى " الإظهار في موضع الإضمار " وله فوائد كثيرة تظهر بحسب السياق منها

- 1 - الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر .

2 - بيان علة الحكم .

3 - عموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 98] ولم يقل فإن الله عدو له فأفاد هذا الإظهار :

1 - الحكم بالكفر على من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل .

2 - أن الله عدو لهم لكفرهم .

3 - أن كل كافر فالله عدو له .

مثال آخر ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : 170] ولم يقل إنا لا نضيع أجرهم ، وأفاد ثلاثة أمور :

1 - الحكم بالإصلاح للذين يمسكون بالكتاب وقيمون الصلاة .

2 - إن الله أجرهم لإصلاحهم .

3 - إن كل مصلح فله أجر غير مضاع عند الله تعالى .

وقد يتعين الإظهار كما لو تقدم الضمير مرجعان يصلح عوده إلى كل منها والمراد أحدهما ، مثل : اللهم أصلح للمسلمين ولاية أمورهم وبطانة ولاية أمورهم ، إذ لو قيل وبطانتهم لأوهم أن يكون المراد بطانة المسلمين .

ضمير الفصل

ضمير الفصل حرف بصيغة ضمير الرفع المنفصل يقع بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين .

ويكون بضمير المتكلم كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [طه : 14] ،
وقوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ [الصافات : 165] .

وبضمير المخاطب ، كقوله تعالى : ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : 117] .
وبضمير الغائب ، كقوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : 5] وله ثلاث فوائد :

الأولى : التوكيد ، فإن قولك : زيد هو أخوك ، يؤكد من قولك : زيد أخوك .

الثانية : الحصر وهو اختصاص ما قبله بما بعده ، فإن قولك : المجتهد هو الناجح ، يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح .

الثالثة : الفصل أي التمييز بين كون ما بعده خبراً أو تابعاً ، فإن قولك : زيد الفاضل يحتمل أن تكون الفاضل صفة لزيد والخبر منتظر ، ويحتمل أن تكون الفاضل خبراً ، فإذا قلت زيد هو الفاضل ، تعين أن تكون الفاضل خبراً لوجود ضمير الفصل .

الالتفات

الالتفات : تحويل أسلوب الكلام من وجهٍ إلى آخر ، وله صور منها :

1 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ﴾ [

الفتحة : 2 - 5] فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ .

2 - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ

وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [يونس : 22] فحول الكلام من الخطاب إلى الغيبة في قوله : ﴿

وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ .

3 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة : 12] فحول الكلام من الغيبة إلى

التكلم في قوله : ﴿ بَعَثْنَا ﴾ .

4 - الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ

لِرَبِّكَ ﴾ [الكوثر : 1، 2] فحول الكلام من التكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ .



وللالتفات فوائد منها :

- 1 - حمل المخاطب على الانتباه لتغير وجه الأسلوب عليه .
 - 2 - حمله على التفكير في المعنى ؛ لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب .
 - 3 - دفع السآمة والملل عنه ؛ لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى الملل غالبًا .
- وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صوره .
- أما الفوائد الخاصة فتتبع في كل صورة حسب ما يقتضيه المقام .

الخاتمة

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

تم والله الحمد رب العالمين .



الفهرس

4	مقدمة.....
5	القرآن الكريم :
5	التفسير :
6	أقسام القرآن من حيث الأحكام والتشابه :
7	القرآن الكريم
9	نزول القرآن.....
10	أول ما نزل من القرآن
12	نزول القرآن ابتدائي وسبيبي
16	المكي والمدني
17	(أ) أما من حيث الأسلوب فهو :
18	الحكمة من نزول القرآن مفرقاً :
20	ترتيب القرآن :
20	وهو ثلاثة أن أنواع :
21	كتابة القرآن وجمعه
21	لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل :
24	التفسير
26	الواجب على المسلم في تفسير القرآن
26	المرجع في تفسير القرآن
26	يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي :





- ولذلك أمثلة منها : 26
- ولذلك أمثلة منها : 27
- ولذلك أمثلة كثيرة جدًا منها : 28
- الاختلاف الورد في التفسير المأثور 30
- الاختلاف الورد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام : 30
- ترجمه القرآن 32
- والترجمة نوعان : 32
- حكم ترجمة القرآن : 32
- المشتهرون بالتفسير من الصحابة 34
- 1 - على بن أبي طالب : 34
- 2 - عبد الله بن مسعود : 35
- 3 - عبد الله بن عباس : 36
- المشتهرون بالتفسير من التابعين 38
- اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم : 38
- 1- مُجاهد : 38
- 2 - قَتَادَة : 39
- القرآن محكم ومتشابه 40
- يتنوع القرآن الكريم باعتبار الإحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع : 40
- موقف الراسخين في العلم والزائعين من المتشابه 42
- أنواع التشابه في القرآن 44
- التشابه الواقع في القرآن نوعان : 44
- الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه 46
- موهم التعارض في القرآن 47





- 50 القصص
- 51 وهي ثلاثة أقسام :
- 52 وللقصص في القرآن حِكم كثيرة عظيمة منها :
- 53 تكرار القصص
- 53 ومن الحكمة في هذا التكرار :
- 54 الإسرائيليات
- 54 وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع :
- 56 موقف العلماء من الإسرائيليات
- 56 اختلفت مواقف العلماء ولاسيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة أنحاء.
- 57 الضمير
- 57 فالدال على الحضور نوعان :
- 59 الإظهار في موضع الإضمار
- 61 ضمير الفصل
- 62 الالتفات
- 63 وللالتفات فوائد منها :
- 63 الخاتمة



جمال الدين



فريق صيانة السلفي

1442 هجري